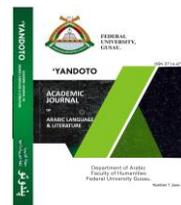


‘Yandoto Academic Journal of Arabic Language and Literature

ISSN: 2714-4712 (Print & Open Access)



قصيدة محمد بلو في رثاء عمه عبد الله بن فودي: تحقيق وتعليق

إعداد:

محمد خامس محمد، وطلحة معاذ سعيد

ملخص:

هذا البحث عبارة عن تحقيق وتعليق على قصيدة محمد بلو التي قالها في رثاء عمه عبد الله بن فودي بعد وفاته، وذلك ليظهر شعوره وحزنه وقلقه بعد فراق العم لأنه كان له خير عالم ومرشدٍ ثانيًا بعد والده عثمان بن فودي. وتوصل البحث إلى أنّ الشاعر الأديب قد وُفق في اختيار الألفاظ والعبارات المناسبة لمقام الرثاء، وفيها من الأساليب الفنية ما ستظهر في صميم المقالة، كما أن القصيدة تمتاز أيضًا بإظهار المعاني الإسلامية في الشكل والمضمون.

Abstract:

This research work is an investigation and comment on the poem of Muhammad Bello that he constructed in lament of his Uncle Abdullah Bun Fodio after his death, in order to express his emotional feeling, sorrow and anxiety after separation; because he was his best teacher, guide and educator after the death of his father. The research discovered that the poet has succeeded in choice of diction and selection of appropriate phrases for the poem of lament, as it also consists technical styles, which would see in the research design; similarly, the work features the Islamic meanings in its forms and content.

المقدمة:

حَمْدًا لِلَّذِي بَرَأَ النَّسَمَةَ فَأَبْدَعَ فِي إِجَادِهَا مِنَ الْعَدَمِ، وَصَلَاةً وَسَلَامًا عَلَى صَاحِبِ الْهِمَمِ وَمِصْبَاحِ الظُّلَمِ، أَفْصَحَ مَنْ تَقَوَّهَ بِالْكَلِمِ، خَيْرَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، وَالْمُرْسِلِ إِلَى جَمِيعِ الْأُمَمِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ يَتَابِعِ الْحِكْمِ، وَعَلَى كُلِّ مَنْ سَارَ عَلَى دَرِيهِمِ الْمُبَارَكِ فَاسْتَقَامَ عَلَى الْقَدَمِ إِلَى يَوْمِ الْجَزَاءِ وَالْكَرَمِ. وبعد، فهَذَا المقال عبارة عن عملٍ متواضعٍ قام به الباحثان في محاولة الدراسة عن قصيدة محمد بلو التي نظمها في رثاء عمه عبد الله بن فودي، وسوف يتكلمان عن إثبات صحة نسبة القصيدة إلى ناظمها وتحقيق عنوانها ونصها مُعْتَمِدِينَ بَعْدَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْمَحَاوِرِ التَّالِيَةِ:

-التعريفُ بالناظم والقصيدة.

-نبذة تاريخية عمّن قيل عنه القصيدة.

-كيفية الحصول على المخطوطة واختيار النسخة الأم والتي تليها.

-منهج التحقيق ونسبة المخطوطة إلى الناظم وإثبات عنوانها.

-عرض القصيدة مع التحقيق.

-التعليق عن الظواهر الفنية.

-الخاتمة.

-الهوامش والمصادر والمراجع.

• التعريفُ بالناظم والقصيدة:

هو أمير المؤمنين محمد بلو بن عثمان بن فودي، ولد يوم الأربعاء سنة ١١٩٥ هـ الموافق ١٧٨٠م، وأخذ العلم عن أبيه وأمه وعمه عبد الله، وعن كبار العلماء في بلاده؛ فأنكب بعد نضوج ذاكرته على العلم والمذاكرة، وقد آتاه الله موهبة في المطالعة والمذاكرة، حتى استطاع أن يقرأ كتباً تبلغ عشرين ألفاً بعد ثلاثمائة، وكان أديباً وشاعراً، ألف ما يزيد على مائة كتاب، وكان كوالده وعمه يؤلف بالعربية والفارسية. وأشهر مؤلفاته: "إنفاق الميسور" و"تبشير الإخوان" و"تنبيه الصاحب على أحكام المكاسب" و"رؤضة الأفكار" ومجموع قصائده التي جمع الوزير جنيد في ديوان بعنوان "إفادة الطالبين" وكتابه "نظم العوامل النحوية" وغيرها ٢.

وكان مجاهدًا كذلك تمَّ على يده فتح مملكة عُوبِر، كما ولَّاهُ الشَّيْخُ عَثْمَانُ دولتهُ على القسمِ الشَّرْقِيِّ بِعَاصِمَةِ صُكُّتُو. وقد توفِّي مُرابِطًا في سبيلِ الله في بلد "رُوثُو"، وآخر كلامه لا إله إلاَّ اللهُ، قالها ثلاث مرَّات ثم قرأ قول الله تعالى: {فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} (الأعراف: ٣٤). وخرَّ إلى وِسادته ولم يبلغ رأسه الوِسادة إلاَّ بعد خروج روحه، ودُفِنَ بداره فيها وذلك غِشِيَّةً يومَ الخُميسِ لخامسِ وعشرين من شهر رجب سنة ١٢٥٣ هـ الموافق ٢٦ من أكتوبر، ١٨٣٧م، رحمه الله رحمةً واسعةً ٣.

• نبذة تاريخية عمَّن قِيلَ عَنْهُ الْقَصِيدَةُ:

هو العالم العلامة، النظَّار الفهامة المجاهد الكبير صاحب التصانيف المفيدة، الأستاذ أبو محمد عبد الله بن فودي (١١٧١ هـ / ١٢٤٤ هـ / ١٧٦٦م - ١٨٣٩م). أخذ العلم عن والده محمد فودي وشقيقه عثمان وعن جملة من علماء بلاده، وكان عبقريًا ومتبحرًا في كلِّ الفنون والعلوم، وكان يُلقَّب "ثونغا بلازين هوسا" و"عربي بلاد السودان" لعبقريته الفذة في العلوم. وله من المؤلفات ما يُقارب مائتين وثنيًا، من أشهرها: "ضياء التأويل في معاني التنزيل"، و"كفاية ضغفاء أهل السودان في بيان تفسير القرآن"، و"ضياء الحُكَّام"، و"مفتاح التفسير"، و"النقاية"، و"ضياء السياسات"، وغير ذلك. توفِّي رحمه الله وله من العمر ثلاث وسبعون سنة، ودُفِنَ في غُونْدُو، وقبره مشهورٌ يزارُ ٤.

وهذه القصيدة التي بصدد التحقيق تتكوَّن من تسعة وعشرين بيتًا، صاغها الشاعر من بحر الكامل التام الذي تعييلته (متاعلن متاعلن متاعلن) في الصدر والعجز. وهي مستوية في عدد الأجزاء مُتَّفَقَةٌ في القافية، لأنَّ فاقيتها حرفُ الباء وهو الروي بعده هاء الصلَّة موصولة بباء الإشباع الذي يسمَّى الخرج، وليس في القصيدة ردفٌ ولا تأسيسٌ ولا دخيلٌ. ومن حيث الشكُّل ألفاظها سهلة جَزَلَةٌ، ومعانيها مفهومة ليس فيها غموضٌ ولا تعقيدٌ ولا تنافرُ الحروفِ والكلماتِ ولا ضعفُ التَّأليفِ. ومضمونها رثاءٌ يعددُ الناظم فيها محاسن الميت الحميدة لغرض أن ينطفئ غضب المفقود في صدره. قد استخدم فيها أساليب البلاغة من تشبيه واستعارة وغير ذلك.

• كَيْفِيَّةُ الحِصُولِ عَلَى المَخْطُوطَةِ واختيارِ النسخةِ الأمِّ والتي تليها:

قام الباحثان بالزيارة إلى عدَّة مكتباتٍ للوقوف على نسخة مخطوطة يدوية قديمة للقصيدة "مرثية عبد الله بن فودي"؛ بدءًا بقسم التاريخ بجامعة أحمد بلو زاريا فلم يُعثرَا على ذلك، فواصلوا الرِّحْلَةَ إلى ولاية كُونَا بحثًا عنها حيث زارا المكتبة العالمية بكونوا (National Library Kaduna) ومكتبة الولاية الخاصَّة (Kaduna State Library)، وكلُّ ذلك لم يبقَ على نسخة واحدة إلاَّ في المكتبة الوطنية العالمية بكونوا (National Achieves of Nigeria)، ثم طافا ببعض الشيوخ كالشيخ أبي بكر نرينا كُونَا،

والشيخ صالح أبي بكر أنغون مُعَاذُ ٦، والشيخ عمر البَسَاوِي تُوْنُ وَدَا كُودُونَا ٧، فَلَمْ يَجِدَا شَيْئًا إِلَّا فِي مَكْتَبَةِ الشَّيْخِ عَمْرِو البَسَاوِي حَيْثُ عَثَرَا عَلَى دِيْوَانِ مُحَمَّدِ بَلُو الْمَسْمُومِي "إِفَادَةُ الطَّالِبِينَ" الَّذِي قَامَ بِجَمْعِهِ الْحَاجُّ وَزَيْرُ جُنَيْدٍ بِخَطِّ يَدِهِ، فَاخْتَارَاهَا فِي الرَّتْبَةِ الْأُولَى كَالنَّسْخَةِ الْأَمِّ وَرَمَزَهَا لِهَا بِرِمَزِ (أ)، وَأَمَّا النَّسْخَةُ الثَّانِيَةُ وَهِيَ السَّالِفَةُ الذِّكْرُ فَاعْتَبَرَاهَا النَّسْخَةَ الثَّانِيَةَ، وَرَمَزَهَا (ب) ٨.

• منهج التحقيق ونسبة المخطوطة (القصيدة) وعنوانها إلى الناظم:

إِنَّ تَحْقِيقَ النَّصُوصِ أَمَانَةٌ دِينِيَّةٌ وَعِلْمِيَّةٌ وَأَخْلَاقِيَّةٌ، تَسْتَوْجِبُ مَعْرِفَةَ أَنَّهَا وَثَائِقُ تَارِيخِيَّةٌ لَا يَحِقُّ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَتَلَاعَبَ بِهَا بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، فَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَجْعَلَ نَفْسَهُ مَصْحَحًا أَوْ مَقَوْمًا لِهَذِهِ الْوَثَائِقِ إِلَّا بِالذَّلِيلِ، لِذَا، عَلَى الْمُحَقِّقِ أَنْ يَضَعُ فِي ذَهْنِهِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ إِثْبَاتٌ مَا قَالَهُ الْمَصْنُوفُ خَطًّا كَانَ أَمْ صَوَابًا، كَمَا أَنَّهُ لَا يَنْصَبُ نَفْسَهُ حَكَمًا عَلَى هَذِهِ النَّصُوصِ فَيُبَيِّحُ تَصْحِيحَهَا أَوْ تَبْدِيلَهَا بِنُصُوصٍ أُخْرَى، فَعَلَيْهِ أَنْ يُشْغَلَ ذَهْنَهُ لِيَصِلَ إِلَى النَّصِّ السَّلِيمِ الَّذِي قَالَهُ الْمَصْنُوفُ، وَأَنْ يَتَحَرَّى الدِّقَّةَ الْكَامِلَةَ وَالْحِذْرَ الشَّدِيدَ لِيَفَرِّقَ بَيْنَ خَطِّ النَّسَاحِ وَخَطِّ الْمَصْنُوفِ وَاخْتِلَافِ النَّسَخِ وَالرِّوَايَاتِ ٩.

فَعَلَى ضَوْءِ ذَلِكَ حَاوَلْتُ الْوَرَقَةَ فِي الْمَقَابَلَةِ بَيْنَ النَّسَخَتَيْنِ لِإِصْلَاحِ مَا يُوجَدُ فِيهِمَا مِنْ فُرُوقٍ أَوْ تَحْرِيفٍ أَوْ زِيَادَةٍ أَوْ نَقْصٍ، وَاسْتَعْمَلْتُ الْمَنْهَجَ الْوَصْفِيَّ وَالتَّقَابِلِيَّ وَالتَّحْلِيلِيَّ فِي إِثْبَاتِ أَقْرَبِ النَّسَخَتَيْنِ إِلَى النَّاطِمِ.

وَقَدْ تَمَّتِ الْمَقَابَلَةُ عَلَى الْإِجْرَاءِ الْآتِيَةِ:

١- التَّحْقُوقُ الْكَامِلُ مِنَ النَّصِّ، وَاخْتِيَارُ أَصْحَحِ النَّسْخَةِ الَّتِي تَكُونُ أَصْلًا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي التَّحْقِيقِ، لَا شَكَّ أَنَّ قَدَمَ الْمَخْطُوطَةَ وَتَمَامَهَا مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَرْتَبِعُهَا لِأَنَّ تَتَّخَذُ كَأَصْلِ يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ.

٢- تَحْقِيقُ نَسْبَةِ الْمَخْطُوطَةِ: بَعْدَ أَنْ تَوَقَّرْتِ النَّسَخَتَانِ لَدَى الْبَاحِثِينَ، تَأَكَّدَا مِنْ عُنْوَانِ الْقَصِيدَةِ وَصَحَّةِ نَسْبَتِهَا إِلَى النَّاطِمِ بِالرَّجُوعِ إِلَى تَرْجُمَةِ النَّاطِمِ فِي الْكُتُبِ وَمَوْلاَفَاتِهِ. وَلَمْ يَجِدَا تَقْدِيمًا وَلَا تَأْخِيرًا، وَلَا إِعَادَةً وَلَا تَكَرَّرًا، وَلَا خَطًّا إِعْرَابِيًّا أَوْ إِمْلَائِيًّا، وَلَا سَقَطًا وَلَا خِزْمًا وَلَا تَصْحِيفًا وَلَا تَحْرِيفًا مِنَ النَّسَاحِ، أَوْ انْسِيَاخَ الْحَبْرِ فِي أَيِّ جِزَةٍ مِنْ أَجْزَائِهَا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمُنَّةُ.

٣- تَرْقِيمُ الْأَبْيَاتِ وَالْكَلِمَاتِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى الشَّرْحِ وَالتَّفْسِيرِ مَعَ التَّلْقِينِ عَلَيْهَا فِي الْهَامِشِ.

٤- اسْتِعَانُ الْبَاحِثَانِ بِذَوِي الْخِبْرَاتِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالدَّرَايَةِ لِلِاسْتِقَادَةِ. وَعَلَى رَأْسِهِمُ الشَّيْخُ عَمْرُ البَسَاوِي ١٠.

٥- التَّلَقِيَّاتُ: اِهْتَمَّ بِتَلَقِيَّاتِهِ عَلَى الْقَصِيدَةِ مِنْ شَرْحِ كَلِمَةٍ غَرِيبَةٍ أَوْ مَعْنَى غَامِضٍ أَوْ كَلِمَةٍ تَحْتَاجُ إِلَى تَوْضِيحٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

٦. تَنْبِيهُتُ قَائِمَةِ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ وَالْهَوَامِشِ فِي آخِرِ الْعَمَلِيَّةِ.

نُسْخُ التَّحْقِيقِ:

سبق البيان أن البحث اعتمد على نسختين أساسيتين، هما:

١- النسخة الأولى (أ):

تتألف من تسعة وعشرين بيتاً (٢٩)، وهذه النسخة المصورة من ديوان محمد بلو بعنوان: "إفادة الطالبين" بخط الحاج وزير جنيد. وهي مخطوطة بخط مغربي، مشكّلة وخالية من الملاحظات والطَّريرِ إلا في أجزاء يسيرة. ومن مميزات أنها تتكوّن من ثلاث صفحات مُرقّمة (٣٤، ٣٣، ٣٢)، وقد أشار الناسخ إلى نسبتها وعنوانها في أولها ١١. وهي مكتوبة في أوراق طولها سبعة عشر سنتيمتر cm، وعرضها اثنا عشر سنتيمتر cm، ولم يرد في أيّ صفحة من صفحاتها تاريخ نسخها من ناسخها الحاج جنيد وزير صكّو ١٢، فاعتبرها الباحثان النسخة الأم.

وقد تمّ العثور عليها في مكتبة الشيخ عمر البساوي كدونا، وهي النسخة الثانية التي حصل الباحث عليها، خالية من التبايض والبلي والتمزق والخم في أي جزء من أجزاءها.

٢- النسخة (ب):

وهي تتضمّن تسعة وعشرين بيتاً (٢٩) بنفس العنوان وعدد الأبيات، وبدون اسم الناسخ، وهي المصورة من المكتبة العالمية بكدونا السالفة الذكر، وهي كالنسخة الأولى في الكتابة المغربية بالشكل وبلا تعليق.

• عرض القصيدة مع التحقيق:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا.

قال العبد الفقير لرحمة ١٣ ربه أمير المؤمنين محمد بلو بن الشيخ عثمان بن فودي في مثنوية عمه

عبد الله ١٤:

رُزُّ ١٦ غَدَا ١٧ إِسْلَامُ مُنْتَلِمًا ١٨ بَه

إِنَّ الرُّزِيَّةَ ١٥ لَا رَزِيَّةَ مِثْلَهَا

فِي الْعِلْمِ لَيْسَ لَهُ أَحُّ ٢٠ مِنْ مُشْبِهِ ٢١

خَطَبَ ١٩ جَلِيلٌ حَلَّ مِنْ فُقْدَانِي

أَرْكَانَهَا مِنْ فُقْدِ قَاضِي نَحْبِهِ ٢٤

وَعَفَتْ ٢٢ مَدَارِسُ لِلْعُلُومِ وَأَوْحَشَتْ ٢٣

تَبْكِي فُنُونُ الشَّرْعِ مِنْ فُقْدَانِهِ ٢٥ لَا سِيَّمَا التَّفْسِيرُ جَادَ بِسَكْبِهِ ٢٦
عَلَّمَ الْحَدِيثَ الْفَقْهَ وَالْفَنَوَى بِهِ وَالنَّحْوَ وَالنَّصْرِيْفَ لِأَنَّ بِحُجْنِهِ
عَلَّمَ الْبَيَانَ كَذَا اللَّغَاتِ بَكَتْ لَهُ وَالْعِلْمُ مَاتَ لِفَقْدِهِ فِي صَوْبِهِ ٢٧
فَالنَّاسُ فَوَضَى مَا لِدَاءِ جَهَالَةٍ رَاقٍ لَهُ أَوْ مَنْ يَطْبُ بِطَبِّهِ ٢٨
بَلْ أَفْقَرْتُ مِنْهُ الْمَسَاجِدُ زَانَهَا بِصَلَاتِهِ فِيهَا يَوْمٌ بِصَحْبِهِ
وَمَنَائِرٍ فِيهَا غَدَا يَغْلُو بِهَا ٢٩ فِي خُطْبَةٍ قَدْ أَوْحَشَتْ مِنْ نَصْبِهِ
وَبَكَتْ عَلَيْهِ بُكَاءَهَا لِحَيْنِيهَا وَبَكَتْ مَسَالِكُهَا لِقَاضِي نَحْبِهِ
وَحَلَّتْ مَنَازِلُ زَانَهَا بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ وَتِلَاوَةِ مَنْ حَزْبِهِ ٣٠
وَمُطَالَغَاتٍ فِي الْعُلُومِ بِأَسْرِهَا ٣١ وَالْعِلْمُ يُفْدِيهِ ٣٢ بِأَعْلَى صَعْبِهِ ٣٣
وَبِجْمَعِهِ وَنِظَامِهِ بِشَتَاتِهَا وَمُؤَلَّفَاتٍ فِي الْعُلُومِ بِكُنْبِهِ
فَبَكَتْ كَمَا تَبْكِي الْعَسَاكِرُ ٣٤ إِذْ حَلَّتْ مِنْ صَيْعَمٍ ٣٥ بِعَرَاءِ ٣٦ أَوْ فِي شَعْبِهِ ٣٧
كَمْ قَادَهَا بِكَتَائِبٍ ٣٨ وَبِحِدِّهِ فِي حِدِّهِ انْتَصَرَتْ بِهِ فِي حَزْبِهِ ٣٩
تَبَّتْ يَدَا الْفُقْرَا تَوَالَى خَيْرُهُمْ فَالْدَيْنُ بَعْدَ الْخَصْبِ جَاءَ بِجَدْبِهِ

عَمِي وَصِنُو أَبِي أُسْتَاذِي الَّذِي لِلْعِلْمِ أُسْقَانِي وَجَادَ بَعْدِيهِ
 لَوْلَا تَعَرَّيْنَا بِقَوْلِ إِلَهِنَا فِي الذِّكْرِ إِذْ عَزَّ الْأُولَى فِي حَرْبِهِ
 لَبَكَيْتُ مِنْ ثَوْرَانِ ٤٠ لَوْعَةٍ فَقَدِهِ دَهْرِي عَلَى كَمَدِ ٤١ رُزِيْتُ بِحَطْبِهِ ٤٢
 حَطَّبَ بِهِ وَلِهَتْ ٤٣ قُلُوبُ أُولِي فَتَحَيَّرْتُ ٤٥ وَتَبَلَّبْتُ ٤٦ مِنْ تَكْبِهِ ٤٧
 النَّهْيِ ٤٤
 تَكَبَّبَ بِهِ الْخُطْبَاءُ قَدْ حَرَسُوا الَّذِي الشَّدُ شُعْرَاءُ قَدْ ذَهَلُوا لِشِدَّةِ كَرْبِهِ ٤٨
 وَجَدْنَا ٤٩ عَلَى عَثْمَانَ ثَوْرٍ زَمَانِنَا هُوَ شَمْسُهُ وَرَبِيعُهُ ٥٠ فِي خَصْبِهِ ٥١
 وَأُخُوهُ بَدْرٌ ٥٢ قَدْ تَجَلَّى ٥٣ فَانْجَلَّتْ ظَلَمَ الْجَهَالَةَ طَالِعًا مِنْ حَجْبِهِ
 وَخَوَاصُ مَجْلِسِهِ نُجُومٌ ٥٤ حَوْلَهُ كَمْ مُهْتَدٍ بِالنَّجْمِ قَائِدٌ رُكْبِهِ ٥٥
 وَهُمْ نُجُومٌ نَائِبُونَ مَنَابَهُ ٥٦ تَبْدُو وَكُلُّ قَائِمٍ فِي نَوْبِهِ ٥٧
 خَلَفَ عَلَى سُنَنِ أَتَى سَلَفَ بِهِ ٥٨ كُلُّ لَهُ مَا نَالَهُ مِنْ رَبِّهِ ٥٩
 قَالَهُ يَغْفِرُ لِلْجَمِيعِ بِفَضْلِهِ وَيَجُودُ فَضْلًا لِلْجَمِيعِ بِوَسْبِهِ ٦٠
 وَهُوَ الْمَحَامِدُ وَالْفَضَائِلُ وَالْعُلَى وَصَلَاتُهُ أَبَدًا لِحَائِزِ قُرْبِهِ ٦١
 وَالْأَلَّ شَيْعَتُهُ الْكِرَامِ وَصَحْبِهِ وَالصَّادِقِينَ الْقَائِمِينَ بِحُبِّهِ ٦٢

التعليق عن الظواهر الفنيّة:

أ. براعة الاستهلال:

وهي ابتداء الأديب بما يشعر على غرضه، لأنّ السّامع أو القارئ يفهم الغرض المنشود لدى الأديب في أول الاستهلال، والاستهلال "هو رفع الصّوت، فأول الاستهلال من القصيدة محلّ إقبال السّامع عليه بقلبه وفهمه منه إن كان ما ابتدأ به حسنا ومحررا الأغراض عنه" ٦٣، لقد أحسن الشّاعر وبرع في أول استهلاله لتلك القصيدة الرّثائيّة لأنّه ابتدأ بما يشعر السّامع على غرضه المنشود، انظر إلى قوله:

إِنَّ الرِّزِيَّةَ ٦٤ لَا رِزِيَّةَ مِثْلَهَا رِزْءٌ ٦٥ غَدَا ٦٦ الْإِسْلَامُ مُنْتَلِمًا ٦٧ بَه

حَطَبٌ ٦٨ جَلِيلٌ حَلٌّ مِنْ فَقْدِ الَّذِي فِي الْعِلْمِ لَيْسَ لَهُ أَحْ ٦٩ مِنْ مُشْبِهِ ٧٠

ب. براعة الانتهاء:

وبراعة الانتهاء هي "قدرة الأديب على اختتام الكلام بشكل دقيق حسن بحيث لا يبقى للنفس تشوق البتة" ٧١، إنّ الشّاعر وضع انتهاء قصيدته قويًّا جدًّا في التّمامه وانسجامه مع ما سبق، فصارت وحدة مترابطة ومتكاملة التّنسيق كما تلاصق استهلاله بالتّصّ حتّى إذا نظر القارئ إلى هذا الانتهاء يحسّ بأنّه من الغرض الذي من أجله جاءت القصيدة، انظر إلى قوله في الانتهاء:

وَلَهُ الْمَحَامِدُ وَالْفَضَائِلُ وَالْعُلَى وَصَلَاتُهُ أَبَدًا لِحَائِرِ قُرْبِهِ ٧٢

وَالْأَلُّ شَيْعَتُهُ الْكِرَامُ وَصَحْبِهِ وَالصَّادِقِينَ الْقَائِمِينَ بِحُبِّهِ ٧٣

ج. العاطفة:

تبدو عاطفة الشّاعر صادقة في تلك الأبيات، فهو معجب بعمه، ويتقننه في العلوم والتّدرّيس. ومؤثّرًا أيضًا بفقده وبقي الأثر في قلبه وسلوكه، وقد ولدت عاطفة الإعجاب الصّادقة ألفاظًا وأفكارًا وصورًا في غاية الجمال، انظر إلى قوله: (خطب جليل، عفت المدارس، وأوحشت، تبكي الفنون، أقفرت منه المساجد، وبكت عليه، وبكت مسالكها) وغيرها من الصّور والمعاني، إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على تأثر الشّاعر بفقده وصدق عاطفته فيه.

د. الألفاظ:

والشاعر محمد بلو من الشعراء الذين ينقحون أشعارهم من ناحية الألفاظ التي تؤدي المعاني المناسبة، ولهذا جاءت القصيدة في غاية الجمال والجزالة، لا يرى فيها لفظة مستكرهة أو شديدة الغرابة، كل لفظ يجري على قياس صرفي.

ه. تأثره بالدين الإسلامي:

ثم إن أكبر مؤثر في قصيدة الشاعر هو الإسلام، فقد تأثر تأثيراً بالغاً بالدين الإسلامي كما ترى في قصيدته ألفاظاً ومعاني إسلامية. ومنذ أول وهلة ذكر الإسلام عند قوله (غدا الإسلام، علم الحديث، الفقه، الفتوى، المساجد، منابر، خطبة، بصلاته، صيامه، تلاوته، من حزيه، مطالعته في العلوم، فالدين، في الذكر، المحامد، الفضائل، العلي، شيعته، الكرام، صحبه، الصادقين)، كل هذه كلمات إسلامية لم يكن للشعراء الجاهليين عهد بها، إن دلّ هذا على شيء فإنما يدلّ على تأثر الشاعر بالدين الإسلامي الخالص ورجاحة العاطفة على الدين الإسلامي.

• الخاتمة:

حاولت الورقة أن تحقّق وتعلّق على قصيدة الرثاء التي نظمها محمد بلو بمناسبة وفاة أستاذه الشيخ عبد الله بن فودي، وقد ظهر أثناء التحقيق أنه تمّ اختياري النسختين الحقيقيتين وأثبت الباحثان صحة نسبة القصيدة إلى ناظمها على ضوء قواعد التحقيق. واتضح خلال العمل أنها تمتاز بروح إسلامي ديني وعاطفة إسلامية حنيفة طغت على عاطفة الشاعر الفنية، وأن محمد بلو من تلاميذ الشيخ عبد الله بن فودي، وشاعر أديب له من الأشعار والقصائد الدينية وغيرها.

• الهوامش:

١. محمد بلو بن عثمان بن فودي، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، بدون بيانات النشر، ١٩٦٤م، ص: ٢١.
٢. أمين الدين أبوبكر (الدكتور)، المجاهد الكبير في غرب أفريقيا، مطابع المختار الإسلامي، كنو، نيجيريا، ١٩٩٢م، ص: ٢٦-٢٧.
٣. آدم عبد الله الألوري (الشيخ)، الإسلام في نيجيريا، ط: ٢، بدون بيانات النشر، ص: ٦٤-٦٥.
٤. المرجع السابق، ص، ٢٥-٢٦.

٥. مشهور من علماء كُدُونَا مسكناً، ولد بـصُكُّنُو ثُرِيَّيْنَا، وتعلَّم العلم ببلاد صُكُّنُو، ثم انتقل إلى زَارِيَا فتلمذ على كبار علمائها أمثال الشَّيخ يهوذا، ولا يزال على قيد الحياة، يعيش الآن بين كُدُونَا وصُكُّنُو وَرَنَقْرَا في سبيل الدَّعوة والتَّعليم ونشر الإسلام.
٦. هو من كبار الشَّيوخ، سكن كُدُونَا بحَيِّ معاذ، وعنده مخطوطات متنوّعة لعلماء بلاد صُكُّنُو، وقد توفي سنة ٢٠١٥م، رحمه الله رحمة واسعة.
٧. هو من أكابر العلماء في ولاية كُدُونَا، تتلمذ على الشَّيخ أبي بكر ثُرِيَّيْنَا لمدّة لا تقلّ عن عشرين سنة، له مؤلّفات عديدة في النّحو الصّرف والبلاغة والعروض، وأكبر مؤلّقاته "ألفيّة النّحو"، وهي مخطوطة.
٨. ثم وفق الباحثان على الإشارة إليها في مكتبة أريوَا كُدُونَا برقم: MSS: IBADAN (UL), 37, Paris (BN), 6585, ff. 131a-b. Published in Ifada, 32-4: S.U. Balogun (1985), 96-100, trans. 161-4. Junaidu (1985), 233-4, trans. 157-9.
٩. موفّق عبد القادر، مراحل تحقيق المخطوطات وضبطها، موقع ملتقى أهل اللّغة، بدون بيانات النّشر، ص: ٢.
١٠. سبقت التّرجمة عنه.
١١. فهذا الَّذي أشار إلى نسبتها الحقيقيّة. والله أعلم.
١٢. هو العالم الكبير النّاسخ الجليل لمخطوطات الكتب والمؤلّفات لعلماء صُكُّنُو.
١٣. هكذا جاء بالألام في النّسخة (ب) وهو تصحيف من النّاسخ، والصّواب: "إلى رحمة ربّه".
١٤. هو عبد الله بن فودي أخو عثمان المجدّد، قد سبقت ترجمته.
١٥. الرّزية هي البليّة والمصيبة والفجيرة العظيمة، وجمعها رَزَايَا، وَأَصْلُهَا الْهَمْزُ أَي الرّزِيئة، يُقَالُ: رَزَأْتُهُ تَزْرؤُهُ مَهْمُوزٌ بَفَتْحَيْنِ وَالْأَسْمُ الرُّزْءُ، مِثْلُ قَوْلِكَ: رَزَأْتُهُ أَنَا إِذَا أَصَبْتُهُ بِمُصِيبَةٍ وَقَدْ يُخَفَّفُ فَيُقَالُ رَزِيئُهُ أَرْزَاهُ. راجع الحمويّ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير، ج: ٣، ص: ٣٩٣.
- ومنه قول الشّاعر:
- وَلَكِنَّ الرّزِيَّةَ فَفَدٍ * يَمُوتُ بِمَوْتِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ
- وقد أخذ الشّاعر هذا الجزء من البيت لفظاً ومعنى من الشّعراء القدامى أمثال لبيد بن ربيعة العامريّ حيث قال:
- إِنَّ الرّزِيَّةَ لَا رَزِيَّةَ مِثْلُهَا * فَقَدَانُ كُلِّ أَخِي كَضْوِ الكَوْكَبِ
- وزهير بن أبي سلمى حين قال:

إِنَّ الرِّزِيَّةَ، لا رَزِيَّةَ مِثْلَهَا * ما تبتغي غطفان، يوم أضلت
وقول الفرزدق:

أَنَّ الرِّزِيَّةَ لا رَزِيَّةَ بَعْدَهَا * لِلنَّاسِ فَقَدْ مُحَمَّدٌ وَمُحَمَّدٌ

١٦. هي المصيبة، وقد سبق معناها. ومنه قول الشاعر أبي فراس الحمداني:

وَالصَّبْرُ يَأْتِي كُلَّ ذِي * رُزْيَةٍ عَلَى قَدْرِ الرِّزِيَّةِ

١٧. غدا: فعل ماض ناقص بمعنى صار.

١٨. من التلمة: الخلل في الحائط وغيره وَالْجَمْعُ تُلْمٌ. وقد تلمته أتلمه بالكسر تلمًا. يقال: في السيف تلم، وفي الإناء تلم، إذا انكسر من شفته شيء. وتلم الوادي بالتحريك، وهو أن ينثلم حرفه. وتلمت الشيء فانثلم وتثلّم. راجع: ابن منظور، لسان العرب، ج: ١٢، بدون بيانات النشر، ص: ٧٨.

١٩. الحَطْبُ الشَّائُنُ أو الأَمْرُ صَغُرَ أو عَظُمَ وقيل هو سَبَبُ الأَمْرِ يقال ما حَطْبُكَ؟ أي ما أَمْرُكَ؟ وتقول هذا حَطْبٌ جليلٌ، راجع: ابن منظور، لسان العرب، ج: ١، المرجع السابق، ص: ٣٦٠.

٢٠. ورد بياء الإضافة في النسخة (ب) وهو وهم أو خطأ من الناسخ، لأنه اسم ليس مؤخر وحكمه الرفع.

٢١. مشبه أي مثيل.

٢٢. عفت: أي خلت واندرست وزالت وامّحت، من عفا الشيء يَغْفُو عَفَاءً. راجع: المخصص لابن منده، ج: ٤، ص: ١٧٨.

٢٣. في النسخة (أ): " أَوْحَشْتُ " وفي (ب): أَوْحَشْتُ، وكلاهما له معنى صحيح. أي أصبحت مدارس العلوم موحشة بعد أن كانت مؤنسة حال حياته.

٢٤. من موت عبد الله بن فودي.

٢٥. فيه استعارة مكنية حيث شبه الفنون بالإنسان الذي من لوازمه البكاء فحذف المشبه به وهو الإنسان ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو لفظ (تبكي) على سبيل الاستعارة المكنية.

٢٦. السَّكْبُ هو الصَّبُّ، مأخوذ من سَكَبَ المَاءُ سَكْبًا وَسَكُوبًا انْصَبَّ، أي حسن علم التفسير لما كان المرحوم يصبّ دروسه في تعليم الناس.

٢٧. الصَّوْبُ بمعنى: المطر أي إن العلم مات كما يموت الإنسان لفقد حبيبه الذي يسقيه المطر، ففي الكلام استعارة مكنية.

٢٨. أي الناس في فوضى ودوشة لعدم من يرقئهم من داء الجهل أو من يشفيهم من المرض بشفائه.

٢٩. أي افتقرت المساجد إلى صلاته حين يؤمّ النَّاس فيها، كما كانت المنابر تتشوّق إلى رؤيته عليها إمامًا خطيبًا.
٣٠. أي ما يتلوه من القرآن من أحزاب.
٣١. كلمة الأسر تعني جميعًا.
٣٢. جاء في النسخة (ب): " يجديه" والصّواب ما جاء في النسخة (أ) وهو ما أثبت الباحثان.
٣٣. والصّعب هو خلاف السهل.
٣٤. العساكر جمع عسكر وهو الجيش.
٣٥. الضيغم أي الأسد.
٣٦. العراء: هو الفضاء لا يستتر فيه بشيء، وجمعه أعراء، راجع: المعجم الوسيط، ج:٢، ص: ٥٩٨.
٣٧. جاء في النسخة (أ) بفتح الشّين، وهو خطأ، والصّواب بكسر الشّين، كما في النسخة (ب)، ومعناه: الطّريق في الجبل.
٣٨. جمع كتيبة، وهو الجيش الصّغير.
٣٩. أي في جماعته.
٤٠. أي انتشار حرقه فقد المرحوم في الجسم.
٤١. الكمد أي الحزن.
٤٢. أي أصبت بشأنه.
٤٣. من الوَلِه: محرّكة: الحُزْنُ أو دَهَابُ العَقْلِ حُزْنًا والحَيْرَةُ والخَوْفُ. راجع: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج: ١، ص: ١٦٢١.
٤٤. أولى النّهى هم أصحاب العقول.
٤٥. أي دهشت.
٤٦. مشتقّ من بلبل المتاع بلبله وبلبالاً أي: فرقه ويّدده، والقوم أوقعهم في افتراق الآراء واضطرابها، وبلبل فلانًا: أوقعه في شدة من الهمّ، وتبلبل مطاوع بلبله.
٤٧. النكب: المصيبة، فجمعه النكوب.
٤٨. أي لشدة المصيبة به وأخيه عثمان قد خرس الخطباء وذهل الشّعراء.
٤٩. أي حزنًا على موت عثمان.
٥٠. في هذا السياق تشبيهه بليغ، أي هو كنور زماننا، وهو كشمسه وكريعه.

٥١. الخصب: هو النماء والبركة ورغد العيش، جمعه أخصاب. راجع: المعجم الوسيط، ج: ١، ص: ٢٣٧.
٥٢. وأخوه عبد الله الذي هو كالدبر، وهو تشبيهه بليغ أيضًا.
٥٣. أي ظهر بارزًا، فزال بظهوره ظلمات الجهل.
٥٤. أي أصحاب مجلسه كالنجوم، وهو تشبيهه بليغ أيضًا.
٥٥. أي كثيرًا ما يكون المهتدي بنور النجم قائد الجيش.
٥٦. أي قائمون مقامه.
٥٧. التوب جمع نوبة وهي المصيبة.
٥٨. هم الذين كانوا خلفه على اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
٥٩. كل من السلف والخلف له ما نال من الأجر.
٦٠. الوصب: الثبات والعشب، والمراد به هنا الأجر والجزاء.
٦١. الحائز بمعنى الجامع، كل له من الجزاء الحسن لما حاز من القرب إلى الله.
٦٢. وكذلك آله وأتباعه الكرماء وأصحابه الصادقين الثابتين في حبه.
٦٣. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، شرح عقود الجمان ي علم المعاني والبيان، مصر، دار إحياء الكتب العربية، ص: ١٧٢.
٦٤. الرزية هي البلية والمصيبة والفجعة العظيمة، وجمعها رزايا، وأصلها الهمز أي الرزية، يقال: رزأته تزرؤه مَهْمُورٌ بِفَتْحَتَيْنِ وَالاسْمُ الرُّزْءُ، مثل قولك: رزأته أنا إذا أصبته بمصيبة وقد يخفف فيقال رزأته أرزاه. راجع الحموي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج: ٣، ص: ٣٩٣. ومنه قول الشاعر:
- وَلَكِنَّ الرِّزِيَّةَ فَفَدُ فَدٍ * يَمُوتُ بِمَوْتِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ
- وقد أخذ الشاعر هذا الجزء من البيت لفظًا ومعنى من الشعراء القدامى أمثال لبيد بن ربيعة العامري حيث قال:
- إِنَّ الرِّزِيَّةَ لَا رِزِيَّةَ مِثْلُهَا * فَقَدَانُ كُلِّ أَخِي كِضْوَاءُ الْكَوْكَبِ
- وزهير بن أبي سلمى حين قال:
- إِنَّ الرِّزِيَّةَ، لَا رِزِيَّةَ مِثْلُهَا * مَا تَبْتَغِي غُطْفَانُ، يَوْمَ أُضْلَدِ
- وقول الفرزدق:
- أَنَّ الرِّزِيَّةَ لَا رِزِيَّةَ بَعْدَهَا * لِلنَّاسِ فَفَدُ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدِ

٦٥. هي المصيبة، وقد سبق معناها. ومنه قول الشاعر أبي فراس الحمداني:
وَالصَّبْرُ يَأْتِي كُلَّ ذِي * رُزْءٍ عَلَى قَدْرِ الرَّزِيَّةِ
٦٦. غدا: فعل ماض ناقص بمعنى صار.
٦٧. من التلثة: الخلل في الحائظ وغيره وَالْجَمْعُ تَلْمٌ. وقد تلمته أتلمه بالكسر تلمًا. يقال: في السيف تلم، وفي الإناء تلم، إذا انكسر من شفته شيء. وتلم الوادي بالتحريك، وهو أن ينثلم حرفه. وتلمت الشيء فانثلم وتثلم. راجع: ابن منظور، لسان العرب، ج: ١٢، بدون بيانات النشر، ص: ٧٨.
٦٨. الحَطْبُ الشَّائِنُ أو الأَمْرُ صَغُرَ أو عَظُمَ وقيل هو سَبَبُ الأَمْرِ يقال ما حَطْبُكَ؟ أي ما أَمْرُكَ؟ وتقول هذا حَطْبٌ جليلٌ، راجع: ابن منظور، لسان العرب، ج: ١، المرجع السابق، ص: ٣٦٠.
٦٩. ورد بياء الإضافة في النسخة (ب) وهو وهم أو خطأ من الناسخ، لأنه اسم ليس مؤخر وحكمه الرفع.
٧٠. مشبه أي مثيل.
٧١. السيوطي، شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، المرجع السابق، ص: ١٧٥.
٧٢. الحائز بمعنى الجامع، كل له من الجزاء الحسن لما حاز من القرب إلى الله.
٧٣. وكذلك آله وأتباعه الكرماء وأصحابه الصادقين الثابتين في حبه.

● المصار والمراجع:

- ١- نسخة (أ) و (ب)
- ٢- موفق عبد القادر، مراحل تحقيق المخطوطات وضبطها، موقع ملتقى أهل اللغة، بلا تاريخ.
- ٣- آدم عبد الله الألوذي، الإسلام في نيجيريا، بدون بيانات النشر والطبع.
- ٤- شيخو أحمد سعيد غلاندثي (الكتور)، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ط: ٢، ١٩٩٣ م.
- ٥- محمد بلو بن عثمان بن فودي، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، بدون بيانات النشر، ١٩٦٤ م.
- ٦- عبد الله بن محمد بن فودي، تزيين الورقات، بدون بيانات النشر والطبع.
- ٧- الحاج وزير جنيد، إفادة الطالبين ببعض قصائد أمير المؤمنين محمد بلو، بدون بيانات النشر والطبع.
- ٨- غرب طن ظهو زاريا، محمد البخاري بن الشيخ عثمان بن فودي وشخصيته الأدبية، بدون بيانات النشر والطبع.
- ٩- أمين الدين أبوبكر (الكتور)، المجاهد الكبير في غرب أفريقيا، الشيخ عثمان بن فودي، مطابع المختار الإسلامي، كنو، نيجيريا، ١٩٩٢ م.